

الحلقة السابعة

أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن أمثال المخلص يسوع المسيح. ويقارن المثل بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم.

ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال، لإيضاح الحقائق الروحية، وليكشف الهدف الذي أتى من أجله. وكنا قد تكلمنا في اللقاء السابق عن مثل حبة الخردل التي تنمو وتصبح شجرة كبيرة، ومثل الخميرة التي تخمر العجين كله. وهذا يشير أن ملكوت الله يبدأ صغيراً، لكنه سرعان ما ينمو ويعم العالم أجمع.

هل حصلت مرّة مستمعي فجأة على ثروة كبيرة، أو كنز ثمين؟ وماذا كان رد فعلك؟ توجد بعض المسلسلات التلفزيونية التي تروي قصص أولئك الناس الذين حصلوا فجأة على ثروة كبيرة، أو كنز ثمين. وتصور مدى فرحهم البالغ وسرورهم العارم، عندما أبلغوا بالخبر. إنها بالحق مصادفة حلوة وعظيمة للغاية، أن يحصل الإنسان على ثروة كبيرة بشكل مفاجئ وغير متوقع. وكم يتمنى كل واحد منا أن يكون من هؤلاء المحظوظين. لكن أتعلم مستمعي أن هناك ثروة أو كنز من نوع آخر يستطيع المرء أن يحصل عليه؟

تابع المخلص المسيح حديثه عن أمثال ملكوت الله فقال: «أيضاً يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفياً في حقل وجده إنسان فأخفاه ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل. أيضاً يشبه ملكوت السموات انساناً تاجراً يطلب لآلئ حسنة. فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها» (بشارة متى ١٣: ٤٤-٤٦).

شبه المخلص المسيح ملكوت السموات في هذين المتلين بكنز مخفى في حقل، وبلؤلؤة واحدة كثيرة الثمن. فهل حقاً ملكوت الله هو ثمين إلى هذه الدرجة الكبيرة؟ وما هي الأسباب التي تجعله ثروة عظيمة؟ وهل بمقدور أي إنسان أن يحصل عليه؟

لماذا يكون ملكوت السموات أو الله ثميناً إلى هذا الحد؟ وما هي الأسباب التي تجعله ثروة عظيمة؟ لكي نجيب عن هذه التساؤلات علينا أن نعرف ما هو المقصود بملكوت الله؟ إن ملكوت الله يعني أولاً: خلاص الله الثمين جداً للإنسان. أي أن يحصل الإنسان الخاطيء على غفران خطايه وبشكل كامل.

ويعني ملكوت الله ثانياً: أن يغدو المسيح هو الملك المتسلط على قلب الإنسان. وبتعبير آخر يصبح المرء الذي يدخل إلى ملكوت الله من أولاد الله. فبتغيير حياته بالتمام، ويحصل على سلام الله العجيب، وفرحه الدائم، بالرغم من كل الظروف الصعبة التي قد يمرّ بها.

ويعني ملكوت الله ثالثاً: أن يتأكد الإنسان أنه قد نال الحياة الأبدية. ويغدو الموت بالنسبة له ما هو إلا عبور من الحياة الفانية إلى الحياة الخالدة. وأنه سيحظى بالقيامة، ويحصل على الجسد المجد عندما يأتي المسيح في مجيئه الثاني الباهر.

لكل هذه الأسباب وغيرها الكثير يصبح ملكوت الله ثميناً للغاية. وهل هناك مستمعي ثروة أعظم وكنزاً أثمن من أن يحصل المرء على خلاص الله، ويغدو المسيح ملكاً على حياته، ويصبح من أولاد الله، ويحصل على كل بركات الله، ويتأكد من نواله الحياة الأبدية؟ لهذا ليس غريباً أن يشبه المخلص المسيح ملكوت الله أو ملكوت السموات بكنز مخفى في حقل، وبلؤلؤة واحدة كثيرة الثمن. إذ هذه هي فعلاً طبيعة ملكوت الله. ولهذا اعتبر المسيح كل من يستطيع الحصول على ملكوت الله كأنه وجد كنزاً أو لؤلؤة كثيرة الثمن.

مستمعي الكريم، قال المخلص المسيح في مثله الأول: أن الكنز كان مخفي في حقل. وهذا أمر صحيح، لأن ملكوت السموات هو كالكنز المخفي عن أعين الكثيرين. فخلاص الله الذي هو هذا الكنز المخفي ليس أمراً يعرف عنه الكثيرون، لا بل في أحيان كثيرة يستهينون به ولا يريدون معرفته. ومن ناحية أخرى، فإن خلاص الله هو أيضاً كاللؤلؤة الثمينة التي يجب على الإنسان أن يبحث عنها بجد ونشاط. فهناك من يسعى بكل دأب ونشاط لكي يجد خلاص الله، ولهذا يعلن له الله هذا الخلاص الثمين، ويحصل عليه. بينما الآخرون لا يهتمهم الأمر فيفشلون في الحصول عليه.

وعندما يجد الشخص الكنز المخفي أي خلاص الله، نراه من فرحه يبيع كل ما كان له. أي يضحي بكل ما عنده لكي يحصل على خلاص الله الثمين. ألم يقل المخلص المسيح: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها» (بشارة متى ١٦: ٢٤-٢٥). وفي المقابل إن الشخص الذي يبحث عن اللآلئ الحسنة، ويجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، أي يجد خلاص الله الثمين، نراه يفعل الشيء نفسه. إذ يبيع كل ما كان له، أي يضحي بكل شيء عنده، لكي يحصل على هذه اللؤلؤة كثيرة الثمن، أي خلاص الله الثمين جداً.

صديقي المستمع، بعد أن سمعت اليوم عن هذا الكنز، أي خلاص الله الثمين ألا تعتبر نفسك محظوظاً بالعثور على هذا الكنز؟ وإذا ما كنت تبحث ساعياً لمعرفة خلاص الله ألا تعتبر بعد أن سمعت هذا البرنامج، أنك قد وجدت هذه اللؤلؤة كثيرة الثمن، أي خلاص الله الثمين؟ في أي من الحالتين، إننا ندعوك لكي تقبل خلاص الله الثمين عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح وعمله الكفاري على الصليب من أجلك. لأنك عندما تؤمن تحصل على هذا الكنز المخفي، واللؤلؤة كثيرة الثمن. فهل تراك تفعل وتدخل إلى ملكوت الله؟